

الخط العربي والزخرفة الإسلامية (١) . المحاضرة الأولى

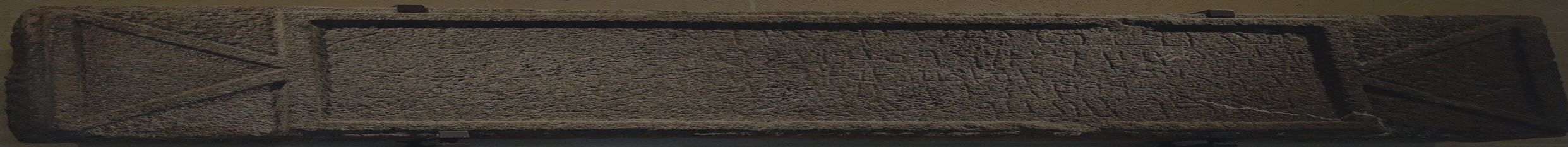
تطور الخط العربي قبل الإسلام

نشأة الكتابة - أصلها - النقوش الشاهدة - انتشارها

قسم التربية الفنية — المرحلة الثانية، الفصل الثالث

إعداد: د. كاظم عبد الزهرة

المادة العلمية: د. محمد كاظم حمزة، «الخط العربي — النشأة والتطور»، ص ٢-٧



ماذا سنتعلم اليوم؟

أهداف المحاضرة: في نهايتها يستطيع الطالب أن...

١ يعرف الكتابة ويميّز مراحل تطورها الأربع.

٢ يوازن بين الآراء في أصل الكتابة العربية، ويرجح الرأي العلمي بدليله.

٣ يتعرف النقوش العربية قبل الإسلام: مواضعها وتواريخها ولغاتها.

٤ يفرق بين الكتابة تدويناً والخط تجويداً وتحسيناً.

٥ يتتبع طريقي انتشار الكتابة إلى الحجاز.

محاور المحاضرة

١ نشأة الكتابة ومراحلها

٢ أصل الكتابة العربية

٣ النقوش الشاهدة

٤ بين الكتابة والخط

٥ انتشار الكتابة في بلاد العرب

«الشكل المصوّر المقابل للكلام، وبتعبير آخر: تثبيت اللغة المحكية بشكل دائمى أو شبه دائمى؛ تجاوزت اللغة بواسطة الكتابة ظروف الزمان والمكان»

— ديرنيجر، الكتابة

٣

عابرة للزمان والمكان

تنقل الفكرة إلى من لم يسمعها، في غير زمانها ومكانها.

٢

أداة توثيق

بها وثقت العهود ودون التاريخ خشية ضياعه.

١

وسيلة تواصل

إفهام وتبليغ يُفصح عن ضرورات حياة الناس ومعاملاتهم.

مراحل تطور الكتابة: من الصورة إلى الحرف



صقر — هيروغليفة مصرية

١ الكتابة الصورية

تسجيل مباشر لصورة الطبيعة، بلا قيمة صوتية.

رسم الطائر يعني «طائر».



قرص الشمس — هيروغليفة

٢ الكتابة الرمزية

تعبّر عن المعاني والأفكار والعلاقات المعقدة.

الدائرة: الشمس — الحرارة،
النور، اليوم.

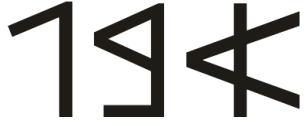


علامة مسمارية

٣ الكتابة الصوتية

(المقطعية): كل عنصر صوري يقابل مقطعاً صوتياً من الكلام.

علامة تُقرأ مقطعاً: «آن».



أ ب ج — فينيقية

٤ الكتابة الأبجدية

حروف معدودة تقابل الأصوات: خلاصة جهد فكري طويل.

ألف، بيت، جيمل... الفينيقية.

على الصخر: حيث يلتقي الرسم بالحرف

في وادي رم جنوب الأردن تتجاور على الصخرة الواحدة رسوم الحيوان وأسطر من الحروف.

الرسم يقول: «هذا جمل». والحرف يقول ما لا يُرسم: اسماً، أو دعاءً، أو تاريخاً.



رسوم وكتابات صخرية قديمة — وادي رم، الأردن · تصوير Etan J. Tal · CC BY 3.0

ناقش مع زميلك

- ◆ أين ترى الرسم؟ وأين ترى الكتابة؟
- ◆ أيّ مرحلة من المراحل الأربع تمثلها كل منهما؟
- ◆ ما الذي يكسبه الإنسان حين ينتقل من الصورة إلى الحرف؟

من أين جاءت الكتابة العربية؟

روايات نقلية

التوقيف

علّمها الله آدم، فكتب لغات الأقوام على طين وطبخه، ثم صار الكتاب العربي من نصيب إسماعيل (ع).

نفر من طيء

مُرّامر بن مُرّة، وأسلم بن سيرة، وعامر بن جَدرة: قاسوا هجاء العربية على السريانية.

ملوك «أبجد هوز...»

وضعوا الكتابة على أسمائهم، ثم أضافوا الروادف: ث خ ذ ض ظ غ.

لا شاهد أثرياً عليها، وصنّف بعضها في خانة الأساطير.

الرأي العلمي

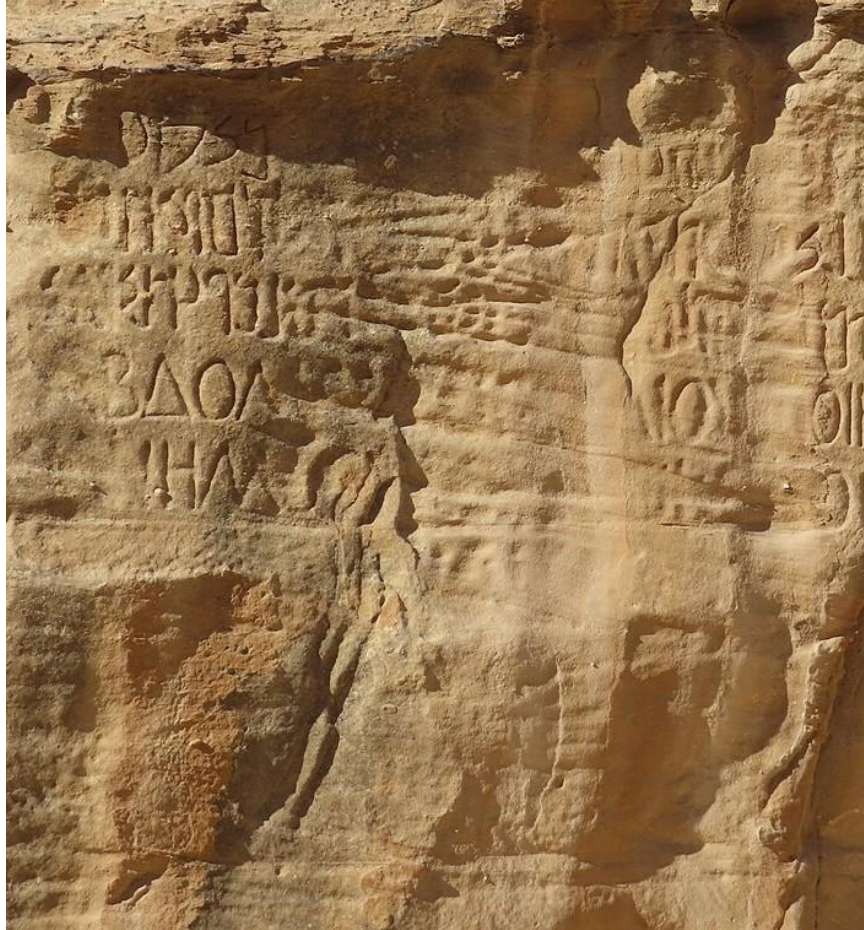
الأصل النبطي

- ◆ يستند إلى التنقيبات الأثرية: نقوش وأوراق بردية نبطية.
- ◆ استخدم الأنباط الكتابة الآرامية المتطورة عن الفينيقية.
- ◆ ثم استقلّت كتابتهم شكلاً، فصارت «نبطية خالصة».
- ◆ ومنها تولّد الحرف العربي، والنقوش تشهد بذلك.

مقابل

الأنباط: حضارة مرّبة

خرجت أقوام شمال الجزيرة في الألف الأول ق.م: فريق استوطن العراق (الكلدانيون)، وفريق سكن جنوب سوريا والأردن (الأنباط)، واشتهروا بالتجارة.



نقش نبطي ويوناني على ضريح المسلات، البتراء · تصوير Fallaner · CC BY-SA 4.0

آرامية

في كتابتها

عربية

في لغتها

يونانية رومانية

في فنّها وعمائرها

سامية

في ديانتها

أسماءهم تشهد بعروبيتهم:

حارث · مالك · وهب الله · علي · حبيب · سعيد · هاجر · هاني · حميد

من الفينيقية إلى العربية: سلسلة الاشتقاق

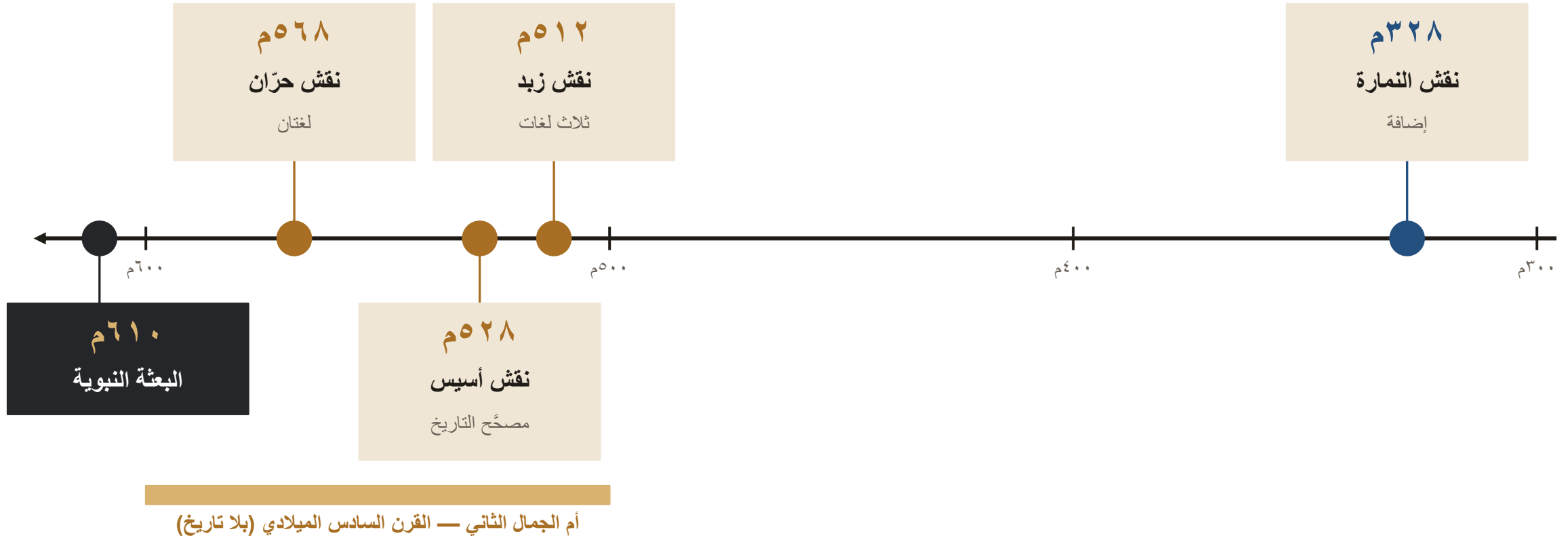


ألف	باء	جيم	دال	لام	ميم	نون	
𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	الفينيقية
𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	𐤇	الآرامية
𐤀	𐤁	𐤂	𐤃	𐤄	𐤅	𐤆	النبطية
ا	ب	ج	د	ل	م	ن	العربية

امتدت النقوش النبطية من نحو القرن الثاني ق.م إلى القرن الرابع الميلادي (آخرها المؤرَّخ: الحجر ٣٥٦م).

تصحیح لما في الكتاب

النقوش الشاهدة على خط الزمن



كلها في بلاد الشام وأطرافها، وفيها نرى الحرف يتدرّج من النبطي نحو العربي خلال ثلاثة قرون قبل الإسلام.

نقش النمارة — ٣٢٨ م



حجر النمارة، متحف اللوفر AO 4083 · تصوير Marie-Lan Nguyen · ملك عام

التاريخ

٣٢٨ م

الموضع

النمارة في حوران، جنوب شرقي دمشق

النوع

شاهد قبر امرئ القيس بن عمرو «ملك العرب»

مكانه اليوم

متحف اللوفر، باريس

لماذا هو مهم؟

لغته عربية وحروفه نبطية آخذة في الاتصال: إنه حلقة وسطى بين الخط النبطي والحرف العربي، وأقدم من نقش زبد بنحو قرنين.

نقش النمارة: نصّه ومعناه

تي نفس مر القيس بر عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج
وملك الأسدين ونزرو وملوكهم وهرب مذحجو عكدي وجا
يزجه في رتج نجرن مدينت شمر وملك معدو ونزل بنيه
الشعوب ووكلهن فرسو لروم فلم يبلغ ملك مبلغه
عكدي هلك سنت ٢٢٣ يوم ٧ بكسلول بلسعد ذو ولده

سنت = سنة

عكدي = إلى اليوم

التج = التاج

نفس = شاهد القبر

تي = هذه

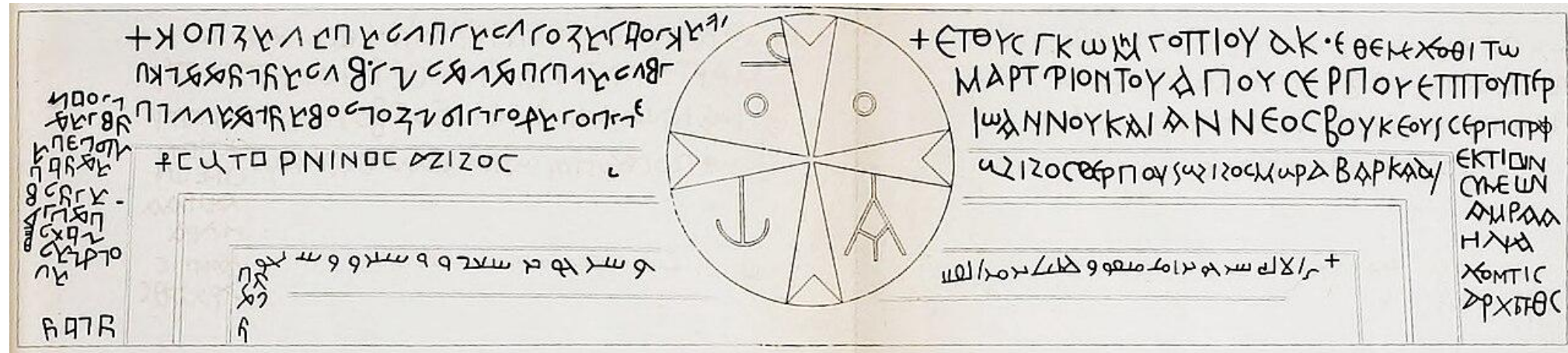
بر = ابن

مفاتيح القراءة:

المعنى

هذا قبر امرئ القيس بن عمرو، ملك العرب كلهم، الذي حاز التاج، وملك قبيلتي أسد ونزار وملوكهم، وهزم مذحج إلى اليوم، وجاء يسوقها حتى أبواب نجران مدينة شمر، وملك معداً، وولّى بنيه على القبائل ووكلهم فرساناً للروم، فلم يبلغ ملكٌ مبلغه. هلك سنة ٢٢٣ (٣٢٨م) يوم ٧ من كسلول (كانون الأول). فالسعد لمن والاه.

نقش زبد — ٥١٢م



رسم النقش كاملاً: اليوناني والسرياني والعربي · Sachau 1881 · ملك عام

٥١٢م / لال سريو درام مفعو لال در م افسس
 و سريو در سريو و سريو و سريو

السطر العربي وحده · بحسب Combe وزملانه 1931 · ملك عام

ثلاث لغات

اليونانية والسريانية والعربية

كنيسة مار سركيس

حجر يعلو واجهتها

جنوب شرقي حلب

بين قنّسرين ونهر الفرات

٥١٢م

التاريخ

نقش زبد: نصّه ومعناه

دلاله سرجو برامه منقو دلاله مر امر القيس
وسرجو بر سعدو وسيرو وشريحو

السطر العربي من نقش زيد · بحسب Combe وزملائه 1931 · ملك عام

[ذ]كر الإله سرجو بر أمت منقو وهنيئو بر مر القيس
وسرجو بر سعدو وسيرو وشريحو

مر القيس = امرؤ القيس

سرجو = سرجيوس

بر = ابن

الإله = الله

ذكر = ليذكر (دعاء)

مفاتيح القراءة:

المعنى

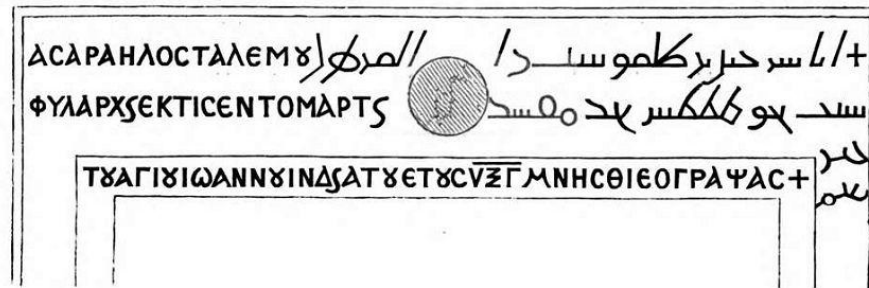
ليذكر الإله بالخير سرجيوس بن أمة مناف، وهانئاً بن امرئ القيس، وسرجيوس بن سعد، وسيراً، وشريحاً. وهم بُناة كنيسة مار سركيس أو المتبرّعون ببنائها. والواو في أواخر الأسماء (سرجو، سعدو، شريحو) بقية من عادة الكتابة النبطية.

نقش حرّان — ٥٦٨م



حجر النقش: اليوناني يميناً ويساراً، والعربي في الأعلى إلى اليمين · ملك عام

2464.



رسم النقش · مدوّنة Le Bas–Waddington · ملك عام

◆ ٥٦٨م: سنة ٤٦٣ بالتقويم البصري

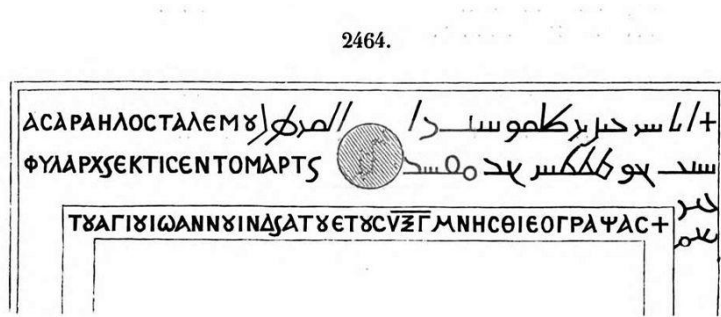
◆ حرّان اللجاة، جنوب دمشق

◆ حجر يعلو باب كنيسة (مشهد القديس يوحنا)

◆ بلغتين: اليونانية والعربية

يذكر النص العربي أن شرحيل بن ظالم بنى هذا «المرطول» (المشهد) سنة ٤٦٣، بعد «مفسد خبير» بعام.

نقش حرّان: نصّه ومعناه



رسم النقش · Le Bas–Waddington · ملك عام

أنا شرحيل بر ظلمو بنيت ذا المرطول

سنت ٤٦٣ بعد مفسد

خيبر

بعم

بعم = بعام

مفسد = خراب

سنت = سنة

المرطول = المشهد

ذا = هذا

بر = ابن

مفاتيح القراءة:

المعنى

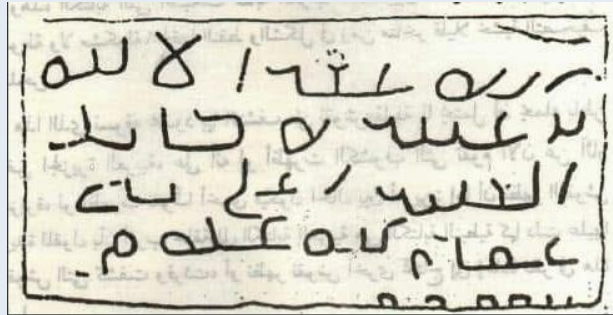
أنا شرحيل بن ظالم، بنيتُ هذا المشهد (مزار الشهيد) سنة ٤٦٣ (= ٥٦٨م)، بعد خراب خيبر بعام. وهو أول نص عربي قبل الإسلام تُقرأ كلماته كلها، ويتكلم بلسان صاحبه، بخلاف النص اليوناني المجاور.

نقشان آخران: أسيس وأم الجمال الثاني

نقش أم الجمال الثاني

القرن السادس الميلادي

- ◆ في كنيسة تُدعى «المزدوجة»
- ◆ منقوش على حجر البازلت
- ◆ الوحيد بين هذه النقوش بلا تاريخ
- ◆ خمسة أسطر، أولها: «برزه عقدا لاليه»



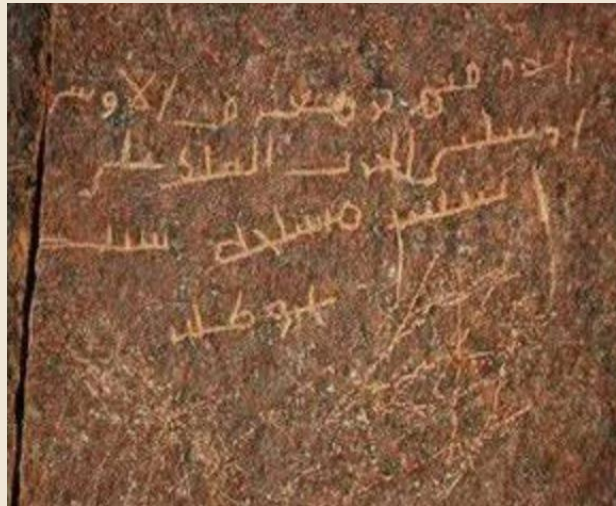
رسم النقش (نسخة منقولة)

نقش جبل أسيس — ٥٢٨ م

- ◆ على جبل يبعد ١٠٥ كم جنوب شرقي دمشق
- ◆ نصّ عربي من أربعة أسطر محفور على الصخر

في الكتاب: ٤٢٣ م، والرقم سنة بالتقويم البصري = ٥٢٨ م

تصحيح

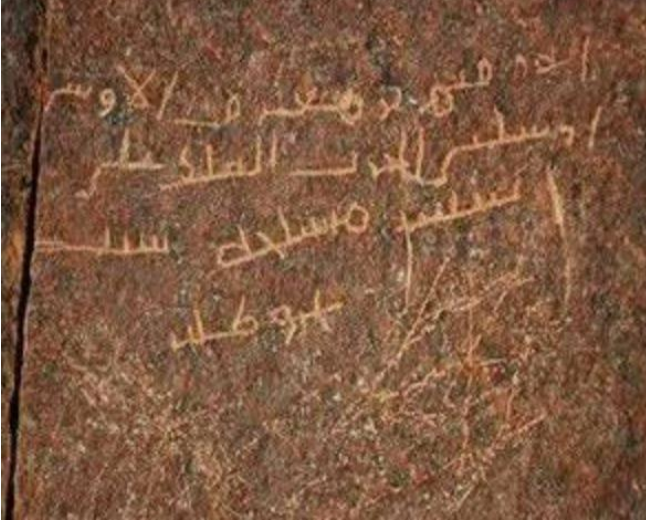


صورة النقش على الصخر

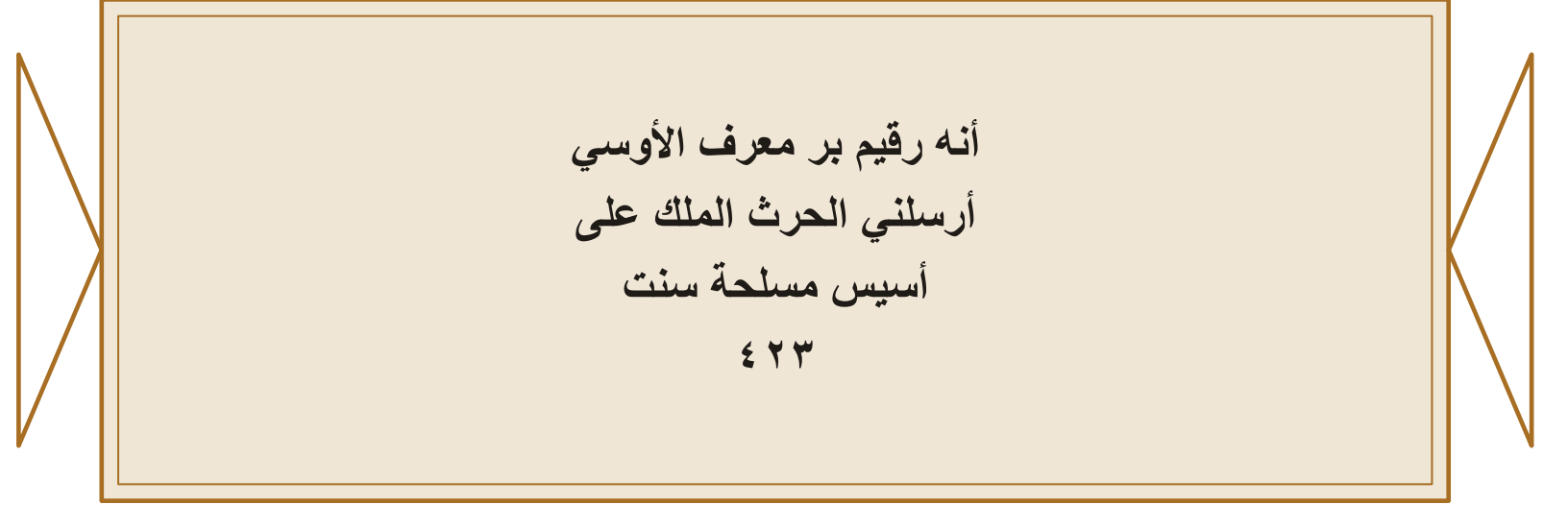
أنه رقيم بر معرف الأوسي
أرسلني الحرث الملك على
أسيس مسلحة سنت
٤٢٣

قراءته بحروفنا، سطرًا بسطر

نقش أسيس: نصّه ومعناه



صورة النقش على الصخر



سنت = سنة

مسلحة = حامية

على = إلى

الحارث = الحارث

بر = ابن

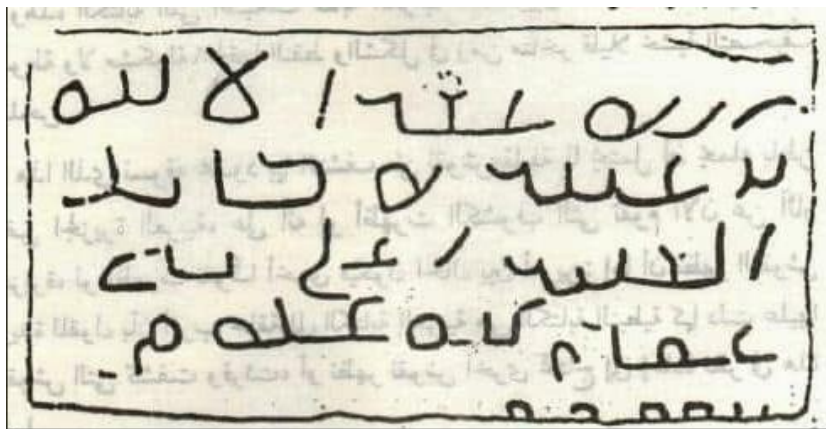
أنه = أنا

مفاتيح القراءة:

المعنى

أنا رُقِيم بن مُعَرِّف الأوسي، أرسلني الملك الحارث إلى أسيس حاميةً، سنة ٤٢٣ (= ٥٢٨م). والحارث هو على الأرجح الحارث بن جبلة الغساني، و«المسلحة» مركز حراسة على الثغر.

نقش أم الجمل الثاني: نصّه وقراءاته



رسم النقش (نسخة منقولة)

برزه عقدا لاليه
بر عبده كاتب
الخليد ... بني
عمرو ...
...

بني = بني

عبده = عبدة

لاليه = لعلّي

بر = ابن

مفاتيح القراءة:

قراءة بيلامي (١٩٨٨)

«أقامه رفاقُ علّي بن عبدة، كاتبِ الفرقة الأوغسطية الثانية؛ جُنّ من يمحوه»: نُصّب تذكاري.

قراءة ليمان (١٩٢٩)

«اللهم غفراً لعلّي بن عبدة، كاتبِ الخُلَيْد، سيّد بني عمرو؛ فليدع له من يقرؤه»: دعاء بالمغفرة.

الكتابة تدويناً... والخط تجويداً وتحسيناً

الكتابة

وظيفتها التدوين: التوثيق والتسجيل

- ◆ استرسال وبديهة وسرعة
- ◆ تلقائية في رسم الحروف
- ◆ بساطة بلا تكلف ولا تصنع

الخط

غايته التجويد والتحسين

- ◆ ضبط رسم الحروف ومواضع اتصالها
- ◆ قواعد ومعايير شكلية ومقاسات هندسية
- ◆ مران ومراس وجهد في النظم والرصف

≠

«لا تكتب حرفاً حتى تستفرغ مجهودك من كتابة الحرف، وتجعل في نفسك أنك لا تكتب غيره حتى تعجز عنه، فتنقل إلى غيره»

— علي بن ربن، في «العقد الفريد»

الخط العربي في أربعة تعريفات

قبش (١٩٨٤)

«هو القواعد الهندسية لكتابة الحروف، لكي تكون حسنة الشكل أفراداً وتركيباً»

داود (١٩٩٧)

«بنية تصميمية ممثلة تقوم على تنظيم الدوال اللغوية الخطية علامياً في ضوء دلالات مضامينها... تحليل على موضوعاتها تواضعياً (بموجب قانون أو عرف) أو عبر علاقة مشابهة»

الحسيني (٢٠٠٢)

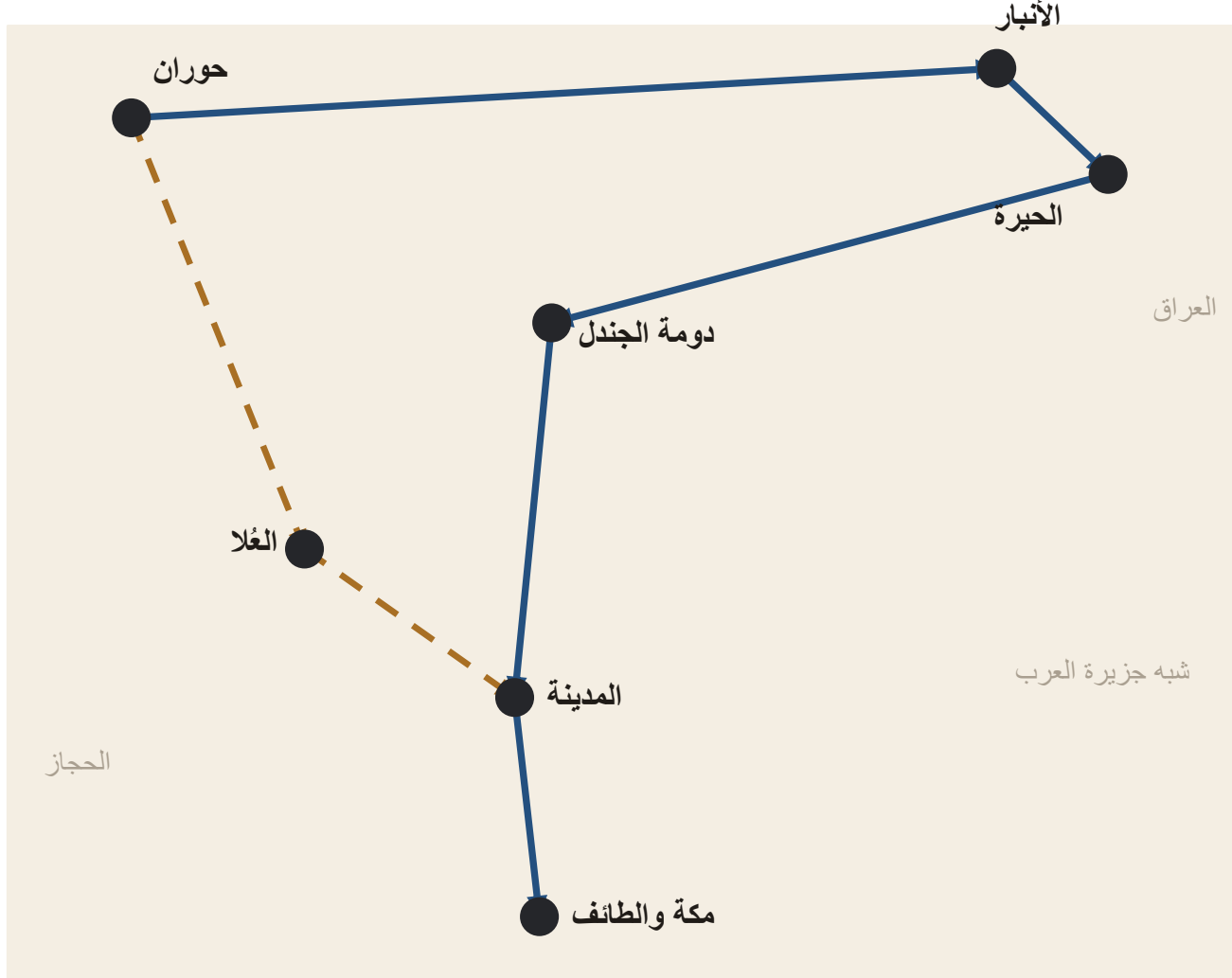
«عملية تنظيم وتآلف وبناء تلك العناصر المرئية (الحروف والكلمات والمقاطع والشكل)، بهدف خلق وحدة ذات تعبير فني، وفق منهج جمالي معين»

حمزة

«نسق كتابي تنتظم عناصره وفق هيكلية بنائية موظفة فنياً... تحتكم لمعايير قواعدية ضابطة، لتشكل منجزاً متآلفاً ومتناسقاً يتعدى حدود التدوين إلى تحقيق أبعاد جمالية ودلالية»

القاسم المشترك: قاعدة تضبط الحرف + بناء ينظمه + غاية جمالية تتعدى التدوين

كيف وصلت الكتابة إلى الحجاز؟



مخطط تقريبي لمواقع المدن، لا خريطة بمقياس

الطريق الأول

الأرجح

من شمال سوريا وحوران مع التجارة إلى الأنبار والحيرة (عاصمة اللخمييين على الفرات الأوسط)، ثم دومة الجندل، فالمدينة، ثم مكة والطائف.

الطريق الثاني

من حوران إلى الغلا، فشمال الحجاز، ثم المدينة ومكة.

في الحالين: الكتابة رافقت القوافل، فطريق التجارة هو طريق الحرف.

الكتابة في مكة قبيل الإسلام

١٧

عدد من كانوا يُجيدون الكتابة في قريش، بحسب الروايات

عبد المطلب بن هاشم

جدّ الرسول (ص)، ممّن يُحسن الكتابة. وكان في خزانة المأمون كتاب بخطّه على جلد آدم.

الخط المكي

الكتابة المتداولة في قريش.

نساء كاتبات

منهنّ الشفاء بنت عبد الله العدوية، وعائشة بنت سعد.

الأسبوع القادم: الخط العربي في الإسلام — الرواد، والنقطة والإعجام

خلاصة المحاضرة

مرّت الكتابة بأربع مراحل: صورية ← رمزية ← صوتية ← أبجدية.

١

النقوش (النمارة، زبد، أسيس، حرّان، أم الجمال) تُرينا الحرف العربي يتشكّل بين القرنين الرابع والسادس.

٤

روايات أصل الكتابة العربية النقلية بلا شاهد أثري؛ والرأي العلمي يردّها إلى النبطي.

٢

الكتابة تدوين عفوي، والخط تجويد يحتكم إلى قواعد ومقاييس.

٥

النبطي ابن الآرامي، والآرامي ابن الفينيقي.

٣

انتقلت الكتابة إلى الحجاز مع التجارة، والأرجح عبر الأنبار والحيرة.

٦

الجانب العملي (ساعتان): من الصورة إلى الحرف

النشاط الأول — ٥ ٤ دقيقة

من الصورة إلى الحرف

- اختر مفهوماً: طائر، شمس، ماء، جبل.
- قسّم ورقة A3 أربعة أعمدة من اليمين.
- ارسمه صورةً، ثم رمزاً مختزلاً، ثم علامةً مقطعيةً، ثم اكتبه بالحروف العربية.
- اكتب اسم المرحلة تحت كل عمود.

النشاط الثاني — ٦٠ دقيقة

محاكاة نقش

- انقل السطر العربي من نقش زبد أو حرّان بقلم القصب.
- اكتب تحت كل حرف قديم مقابله الحديث.
- دوّن ثلاثة فروق بين شكل الحرف قديماً وحديثاً.

المواد: ورق A3، قلم رصاص، قلم قصب أو قلم خط عريض، حبر أسود، مطبوعة صور النقوش.
العرض والنقاش — ١٥ دقيقة: يعرض كل طالب عمله ويشرح انتقاله من مرحلة إلى أخرى.

أسئلة للمراجعة

١ عرّف الكتابة، واذكر مراحل تطورها الأربع مع مثال لكل مرحلة.

٢ لماذا تُعدّ الروايات النقلية في أصل الكتابة العربية ضعيفة؟ وما الرأي العلمي ودليله؟

٣ «حضارة الأنباط حضارة مركّبة»: وضّح ذلك.

٤ قارن بين نقشي زبد وحرّان من حيث الموضع والتاريخ واللغات.

٥ ما الفرق بين الكتابة تدويناً والخط تجويداً؟

٦ ما الطريقان اللذان انتقلت بهما الكتابة إلى الحجاز؟ وأيهما الأرجح؟

٧ اقرأ نص نقش حرّان بحروفنا، واطرح معناه.



المصادر والاعتمادات

المصادر

- حمزة، محمد كاظم. الخط العربي — النشأة والتطور. قسم التربية الفنية، الكلية التربوية المفتوحة (ص ٢-٧).
- ديرنيجر. الكتابة، ترجمة عامر سليمان. المجمع العلمي، بغداد، ٢٠٠١.
- ابن عبد ربه الأندلسي. العقد الفريد، ج ٤. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.
- خليفة، شعبان عبد العزيز. الكتابة العربية في رحلة النشوء والارتقاء. القاهرة، ١٩٨٩.
- الجبوري، يحيى وهيب. الخط والكتابة في الحضارة العربية. بيروت، ١٩٩٤.
- الجبوري، كامل سلمان. موسوعة الخط العربي (الخط الكوفي). ١٩٩٩.

الصور وتصحيح التواريخ

- النمارة: Louvre AO 4083 — Marie-Lan Nguyen (ملك عام)
 - زبد: رسم Sachau 1881؛ السطر العربي بحسب Combe 1931 (ملك عام)
 - حرّان: صورة الحجر ورسم Le Bas—Waddington (ملك عام)
 - أسيس: صورة النقش، للاستعمال التعليمي
 - أم الجمال الثاني: رسم النقش المنقول
 - قراءة النمارة: Dussaud 1905 · Bellamy 1985
 - قراءة زبد: Bevan 2015
 - قراءة أم الجمال الثاني: Littmann 1929 · Bellamy 1988
 - البتراء، ضريح المسلات: Fallaner — CC BY-SA 4.0
 - وادي رم: Etan J. Tal — CC BY 3.0
 - أشكال الحروف القديمة: معيار Unicode
 - تاريخ أسيس: Grohmann, Arabische Paläographie II, 1971
 - مدى النقوش النبطية: J. Naveh
- صور النمارة وزبد وحرّان والبتراء ووادي رم عن Wikimedia Commons